درس العارف ايضا نواحي معينة في تطور المدينة الاقتصـــادي . واشار في الكتاب الى عادات مهنية واسعار وصدقات ودلائل اخرى على التغير الاقتصادي. وبالاضافة لذلك كان مهتما بمشاكل السكان وحاول ان يقدم احصائيات سكانية . واعترف بحقائق معينة مناسبة لهدفه كمؤرخ . وكانت حقائق توضح كيف عمل المجتمع عبـــر القرون وكيف حل مشاكل السكن والتموين وماذا فعل ليؤمن حاجات الفقراء ومـــا هي عاداته الخاصـــة ووسائل لهوه وذكرياته . وتساعد قائمة اسماء مانحي المباني والمحسنين الاخرين التي أعدها العارف ووصفه للتغير المستمر في وظيفة الديوان علـــى توضيح الانماط المتغيرة للعلاقات الاجتماعية .

فهم العارف ان التثبت من الحقائق هو ما تتطلبه كل معرفة تاريخية. ومن الصعب تجاوز القيمة التي أعطاها لاهمية غربلة الحقائق . وتحوي هوامش كتابه مواد تاريخية متنوعة متضمنة نسخا من الرسائل والبلاغات ومختارات من مصادر اسلامية وقوائم بالاسماء واحصاءات مجموعة من عدة مصادر ومشاهدات طوبغرافية. وعلى العموم فان العارف كان حريصا دائما على أن يذكر من اين حصل على معلوماته .

لم ينحصر اهتمام العارف كمؤرخ محلـــي بتاريخ المـــدن . في **كتـــاب تاريخ بئر السبع وقبائلها**(٢٥) وصف تاريخ القبائل العربية التي اقامت في جنوب فلسطين . لقد عاشت بئر السبع لفترة طويلة كمدينة صغيرة تعمل كمركز تجاري للقبائل التـــي عاشت في المنطقة الصحراوية المحيطة بها . ولم يجهل العارف اهمية الموقع ، فقد شدد على اثر موقعها على الطرق التجارية التقليدية التي تربط الجزيرة العربية وسورية ومصر ، واكد على توفر المياه التي تعتبر عاملا اساسيا في نمو مدينة بمنطقة صحراوية .

وكما هو الحال في كتابه عن تاريخ القدس فان رغبة العارف بدحض المزاعم اليهوديةحول صلاتهم التاريخية بفلسطين تلمس ايضا في تناوله للقبائل . فأكد ان لفلسطين من النسب العربي الصـــافي اكثر مما لاي بلـــد مجاور . وقد دعم دفاعـــه باقتباس رأي للويس ماسينيون ، المستشرق الفرنسي الذي ذهب في مقـــالة نشرت عام ١٩٢٤ في مجلة العالم الاسلامي (الفرنسية) الى ان سبعين بالمئة من مسلمي فلسطين وشرق الاردن هم من أصل عربي.(٢٦) وبحسب العارف ، فان هذه القبائل قد شجعت لكي تحافظ على طريقة حياتها التقليدية من اجل استمـــرار الثقافة العربية الصافيـــة وصيانة الفنون الشعبية العربية . ثم قدم العارف امورا غنية بالتفاصيل : العادات الاجتماعيـــة لهذه القبائل ، العلاقات الفردية ضمن القبيلة الواحدة والعلاقات بين القبائل وعادات الزواج والابتهاج بالاعياد والمناسبات الدينيـــة الاخرى . ووصفت كل هـــذه الامور بطريقة اظهرت ان الخصائص الرئيسية لهؤلاء البدو قد حفظت نقية خلال الاجيال .

واذا كان العارف مدفوعا في كتاباته بالرغبـــة لدحض المزاعم اليهودية وليغذي الشعور الوطني في نفوس قرائه ولم يأل جهـــدا في تعظيم الدور الذي لعبه العرب في تاريخ المدن والجماعات الفلسطينية ، فان مؤرخا محليا آخر هو احسان النمر قد فعل من غير قصد ما فعله العارف عمدا .

اختلف احسان النمر (النابلسي) عن عارف العارف في عدة نواح . فهو لم يعمـــل في الحكومة ولم يلعب دورا نشيطا في الحركة القوميـــة العربية مع انه اكد انه كان مهتما بتطور الاحداث في فلسطين قبل الانتداب البريطاني وبعده ، ولم تمكنه ثقافته من معرفة الاساليب الحديثة في الكتابة التاريخية : فهو لم يدخل اية مؤسسة علمية غربية وبالتالي لم يتعلم اية لغة اجنبية الى جانب اللغة التركية . كذلك كان اقل انتاجا من العارف بكثير اذ ان مؤلفه الوحيد عبارة عن دراسة لتاريخ مدينته .

ان مؤلف النمر **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**(٢٧) مهم بسبب القيادة الثقافية التي كانت تتمتع بها نابلس في تلك الفترة . في عام ١٩٢٧ تعرضت نابلس لهزة ارضية عنيفة دمرت حوالي